

الإيجابية في طوق الطهارة

جابر محمد المدخلي

طوق الطهارة ومحمد حسن علوان..

طوق الطهارة تفجير لغوي صادق ، وتصوّر لحجم هذا البُعد العشقي الناضج به شاب أديب أنيق على وجوه العشاق الحيارى ، وعلى أنفُس المتعبين من الحب .

اختار الكاتب عنواناً ينزف به على أوراقه ليكون هو أضحية الحب لعيد العشاق في الأرض ، ولعيد ميلاده الثالث.. (طوق الطهارة) رواية أراد أن يحصد فيها خيار الكتابة ليس لنيل شهرته على ساحات الكتاب والروائين العرب. فهو قد حاز جائزة قلوب القراء العرب في رائعته سقف الكفاية ، وصوفيا الموت. إنه انفعال كثيراً في طوق الطهارة بل كان حسان كطبيب قلب مفتوح داخل غرفة العمليات وبين يديه مشرطه وقلب مريض، وخبرته.. وإما أن يحييه بخبرته ودرأيته بممرات الدماء، وتكاثر الشحوم المترسبة والمسببة انغلاق الشرايين ، وتكاثر هذا لصديد الجامد ، وإما يميته. لقد أراد وكان الطبيب ، وفتش في قلبه عن غالية ، وعن الجورية ، وعن أنفاس الأمكنة التي تبرز بريق هذا الطوق فهبط تلك المزرعة لتي يدخلها بواحدة ، ويخرجها بأخرى لينسف هذا لبُعد العشقي الكبير الذي يوازي مساحة الأرض ، والرياض ، والصحاري ، والأمكنة كلها ، والتي لم تحفل بإسعاده تماماً رغم ما يوفره له أيمن ، ووزان بن تجاهل ، وتغاض تام لممارساته ، ونزواته ..

الكتابة في طوق الطهارة كما قالها علوان : (تشبه ربح حقل من الأفيون يخدره إلى أجل مسمى) ظهر لغلاف عباراته معبر الرواية تماماً كمعبر رفح .. يبر أن معبر علوان أراد أن يقيه مفتوحاً إلى الأبد فالأجواء السياسية بمنأى عن الطوق ، ولا شأن حسان بشيء إلا بالحب هنا. وتستدل من الغلاف بى أن ثمة إيمان عشقي رهيب سيبلغه القراء داخل ذا الحقل الورقي الكبير؛ ولكن هذا الحقل يا علوان ندر قراءك أيضاً وجعلهم يزيدون إيمانك ولنحن ميعنا محظوظون بأن حقوقك هي مصدر إيماننا أنت مزرعة الحب الكبيرة ، التي يحرثها مدادك الذي ينضب عن مصارحتنا بالحب ، ونضح أرواحنا سيابك العشقية. الرواية بنظري قامت على محور حب هذا الكائن الأحفوري الذي قال عنه علوان: (أنا حب أن أكتب عن الحب، هذا كل شيء. وأجدني أكثر سداً عندما أتناول هذه الحالة الشعورية الرفيعة. كتابة وفق قيمة واحدة ليست خطأ، كما أن التنوع بس واجباً كتابياً مفروضاً على كل كاتب. بالنسبة لي، إذا لم أكتب حول ما يشغل ضميري وقلبي، أجدني اجزأ عن الاستمتاع بما أفعله. وحالياً، مازال عندي كثير لأقوله عن الحب، وقد لا أنتهي).

وكعادته جاء بموسمين متالفين وزاد ألفتهما بنهش كل الأعضاء التي تتقدم إلى الصلاة بمحراب راقه الباسية من آثار الحزن ، والكفاء على موعنة

تلها الأفواه الحزينة ، الجافة.

الكاتب في طوق طهارته حفر قبور الموت من جديد كما فعلها بصوفيا ، لكنها هنا أتت قبور على هيئة وفيات الحب ، في طوق الطهارة أحرم بالحب من ميقات حزنه ، ورداؤه عشقه لغالية.

الحب وحده الذي يغرق صفحات علوان، ووحده الذي يعصر الأرواح العربية.

وجه أسلوبه جديد تعرض له الكاتب ولم يشأ أن ينسأه.. لقد تحدث عن طبقة العمال الكادحة في وطنه وأبطن لها سطوراً من الولاء حيث قال: (كان قراري أن أعمل لأنني أعجب الناس الذين يعملون لا سيما إذا كانوا منهمكين في أعمالهم ، على ما يكسو وجوههم من ملامح تركيز وجدية).

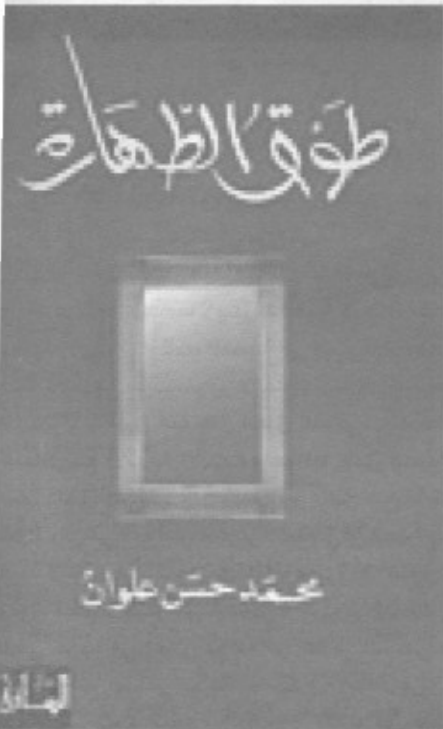
كما استعرض جوانب اجتماعية عدة في هذا الطوق الطاهر وكأنما ينادي بفتح مسرح كبير لتعرض فيه مسرحيات لها علاقة بعلاج الأفكار، ولها قدرة على اقتلاع سلبية التعامل ، وعنصرية الرجل ، وقسوته المبهمة والغير مبررة تجاه الأنثى. بل إنه جعل من أوراقه صحافة صادقة، وقادرة على نشر كل المقالات التي لا يمكن لأي رئيس تحرير أو لصحفي أن يلتزم الصمت حيالها. تعرض إلى علم النفس، وجلب للعيادات النفسية زبائن وكأنه يقدم دعوة لشعبه الخائف من ممارسة التوجه إلى العيادات النفسية خوفاً من الوصمة؛ إنه أراد أن يقول لهم إذا ما انخلقت داخلكم الأوجاع ، وحلت بكم الأحزان والألام فثمة مرض نفسي يجب علاجه ، واجتثائه.. فلا تخلون من التوجه إلى وزان ورفاقه.. إنكم ستجدون الشفاء ، وستستريحون وإن لم يك الأطباء النفسيون كوزان.

استعرض أيضاً خطاباً اجتماعياً لحالات المرأة وتخير (المطلقة) في أوطانه ، والمجاورة كلها وكيف أنها تحت رحمة الرجل (الزوج) السابق أو اللاحق ، وتعمق كثيراً في حياة عشقها، وحبها وأن هذا الحب كجنين يجب أن يجهض لإخفاء معالم الزنا، أو وصمات العار التي قد تلحق بالمطلقة.. لا شك أنه عصر روحه لينتج عقاقر فكرية لهذا الشعب المنضارب ، ولهؤلاء الأزواج الذين اعتصموا بزواج بعد مرحلة طلاقهم.. نساء ربما هن اللاتي يعرضونهن ، ويحرصن على معايشة لذة الانتقام كمسلسل لا تنتهي حلقاته.

كم امرأة كغالية قرار زواجها أوقف دونما وجه حق؟

إنه كاتب عبقرى وبعقادي أنه أنجب غالية بصعوبة واختارها من الجنوب ليأتي بها ويستحضر ثقافتها ويملاؤها الدنيا كلها كرسالة عريضة يقدمها لمجتمعه ولجيران مجتمعه. لقد أنجب علوان غالية من ضلعه ليستعرض هذا السؤال الأصعب.. كم امرأة تشبه غالية بالمجتمعات؟ وما ذنب من يحبها، ولماذا تحرّم عليها الحياة بعد الطلاق؟

إنه أراد أيضاً أن ينتشل النساء من قاع الألم ليفتح لهن فرجات، وإيقاعات أمل ستغير أفعالهم وأعراف هذا



على الأوراق الذي يرى فيه أنه علاج الكبار لأنهم يستطيعون البكاء أمام الناس؛ غير أنه أراد أن يخر هذا الكنز البكائي كما أنجبه، وكما خلقت روحه ليه أرواح الناس صادقاً ويسكن بهم؛ لقد ضحك بكاء وبكى ضحكاً.

في طوق الطهارة علمنا حسان أن الحب هو المقادير الوحيد الذي يجيد قيادة إطاره بمفرده، وبمفرده استطاع أن يخلق أبطاله لينزلهم في كتاب ينشره ليست يده ، ويطلع ، ويختار له قرار إحراق تليق وجنزة مناسبة لأوراقه ، ودفن يليق برماده الموزن بالرياح. إنه أراد أن يستعيد بهذا الكتاب أوزان أحزانه التي عادت إليه عن طريق عشيقته بعد علا نفسي طويل كلفه الكثير من النساء، وكلفه الكثير من الاغتسال ، وكلفه الكثير الكثير من البكاء اللاذع بحزنه.

إنه اختار لنفسه اسماً جميلاً وبطولات حزن تليق به ، وأدار مداده في صحراء أوراقه الكبير التي تحولت بفعل براعته روائياً عظيماً إلى جنات وبساتين.

إنه عبر عن الموت ، والقدر ، والحب ، في سياق مثير ، وكذلك صور حزن العشاق كما ينبغي لكاتب فعل ذلك. الكاتب تمييز في روايتين وجاء من بورتلند بنالنا أعرق حزنًا ، وأكثر موتًا ، وأشد استهلاكاً لروحه من أختيها؛ وكاننا أراد أن يجعل من رواياته بأن تذكر إحداها الأخرى بحزن فاخر، ونجاح أنيق، وعشق عصر كثيراً من مخه، وأسقط شيئاً من شعره ليعيده إلى داخل جمجمته.